الاختراع في الكنايات النبوية وأثره في كلام العرب

إعداد طالب الدكتوراه
مصعب حمود

بإشراف الأستاذ الدكتور
نور الدين عتر
ومشاركة الدكتور
هيثم غرة

قسم علوم القرآن والسنة
كلية الشريعة
جامعة دمشق

الملخَّص

تداولَت كتب البلاغة العربية نماذج قليلة من الاختراع الأدبي في الأحاديث النبوية الشريفة التي لم يَسبق العربُ إلى مثلها، كالآن حين حمي الوطيس، ونحوها من الاستعارات الفذّة، على قلّةٍ في الاستشهاد ونُدرةٍ في تمييز الصحيح من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أفصحُ العرب.

فصمدَ هذا البحثُ لفتح باب الاستزادة من أمثلة الاختراع النبوية من الكنايات خصوصاً، ملتزماً الصحةَ وما يغلبُ على الظن أنه لفظ النبي صلى الله عليه وسلّم وذلك بسبر الروايات ومقارنتها .

فكان البحثُ من مطلبين: الأول في تعريف كلٍّ من الكناية والاختراع لغةً واصطلاحاً، والثاني إيراد ستة نماذج من الكنايات النبوية التي لم يُسبَق إلى مثلها أي ممّا يصلحُ أن يكون مثالاً للاختراع، والكنايات الست هي:

1- أُشير إليه بالأصابع، كناية عن الشهرة .

2- رُفِعت الأقلام وجفَّت الصحف، كناية عن استحكام الأمر وانبرامه وألا رجعة فيه .

3- الجنة تحت ظلال السيوف كناية عن الالتحام بالعدو والقرب من القَرن.

4- حجَّرت واسعاً، كناية عن رحمة الله عز وجل.

5- أكل بعضي بعضاً، كناية عن خلاء الجوف وشدة الجوع .

6- أخذت بحقوي الرحمن، كناية عن الاستجارة.

فكنت أذكر الاختراع في كلِّ كناية وشيئاً من وجوه الجمال فيها، ثم أبيّن تأثّر العرب بها وأذكر بعضاً ممن نسجَ على منوالها وأوازنُ بينَ الفرع والأصل .

وظهر لي جلياً كثرة الاختراع في الكنايات النبوية، وقصورُ الأدب العربي عنها إذا رام حكايةَ المعنى، فإذا اقتبسَ منها الأديب الأريب كانت كلمةُ النبي صلى الله عليه وسلم كالعروس من حولها وصيفاتها، وإنه لعلى بلاغةٍ عظيمة.

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب، فكذلك الاختراع من البلاغة أرفع الأنواع، ولا جرم هو أولى به، وأن الاختراع في حديثه كثيرٌ وإن أسلمتنا كتبُ البلاغة لأمثلة قليلة مشتهرة مكرّرة من الاختراع الأدبي في الأحاديث النبوية الشريفة التي لم يَسبق العربُ إلى مثلها على أن فيها الصحيح والضعيف، وأكثرها استعارات كالآن حين حمي الوطيس، ونحوها، مع نُدرةٍ في تمييز الصحيح من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أفصحُ العرب .

فقد ينبغي رفدُ هذا الباب بجديد الأمثلة، والنظر في كلِم النبي صلى الله عليه وسلم التي لم يُسبَق إلى معانيها، وبيانُ تأثيرها في أساليب العرب. فجمعتُ طائفة من الكنايات النبوية المخترعة، ثم انتقيتُ منها ستاً تكون كالدليل على ما وراءها، وذلك مراعاةً للفسحة المسموح بها في حجم البحث، ملتزماً الصحةَ وما يغلبُ على الظن أنه لفظ النبي صلى الله عليه وسلّم وذلك بسبر الروايات ومقارنتها لأننا في الدراسة الأدبية نتطلّب اللفظ كما قال الأستاذ الدكتور نور الدين عتر[1].

فأذكر الحديث المتضمن للكناية وأخرجه وأقارن بين رواياته لموضعِ الكناية حتى أصل إلى اللفظ الأصح .

ثم أبيِّن وجه الكناية من لازمها وملزومها متتبعاً عناصر الجمال الفني فيها .

ثم أبيّن تأثر العرب بها وأشهر ما نُسِج على منوالها موازناً بين الفرع والأصل .

والمنهج المتبع على العموم هو المنهج المقارن، مع الاستناد إلى المنهج الوصفي الفني فيما يخص دراسة ذات الكناية النبوية والكنايات التي تأثرت بها .

ثمَّ الوسيلة إليه في كلِّ كنايةٍ أزعمُ أنها اختراعٌ إنما هي ادعاءٌ بنيته على استقراء، وللمنكِر نفيُ قضية الاختراع في ذلك الحديث عينه بمثالٍ إن وجَد .

---

[1] - ينظر: علم الحديث والدراسات الأدبية ص65 .

وجاء البحثُ من مطلبين: الأول في تعريف كلٍّ من الكناية والاختراع لغةً واصطلاحاً، والثاني إيراد ستة نماذج من الكنايات النبوية التي لم يُسبَق إلى مثلها أي ممّا يصلحُ أن يكون مثالاً للاختراع، والكنايات الست هي:

1- أُشير إليه بالأصابع،كناية عن الشهرة .

2- رُفِعت الأقلام وجفَّت الصحف، كناية عن استحكام الأمر وانبرامه وألا رجعة فيه .

3- الجنة تحت ظلال السيوف، كناية عن الالتحام بالعدو والقرب من القَرن.

4- حجَّرت واسعاً، كناية عن رحمة الله عز وجل.

5- أكل بعضي بعضاً، كناية عن خلاء الجوف وشدة الجوع .

6- أخذت بحقوي الرحمن، كناية عن الاستجارة.

والله المستعان .

المطلب الأول: تعريف الكناية والاختراع .

أ- تعريف الكناية:

الكناية لغة: أن تتكلم بشيءٍ وتريد غيره [1].

قال ابن فارس: "الكاف والنون والحرف المعتل يدلُّ على توريةٍ عن اسمٍ بغيره. يقال: كنيت عن كذا. إذا تكلَّمت بغيره مما يُستَدَلُّ به عليه"[2].

واصطلاحاً: "هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لِيُنتقَل من المذكور إلى المتروك كما تقول فلان طويل النجاد لِيُنتقل منه إلى ما هو ملزومه" [3].

والرابط بين اللغة والاصطلاح بيِّنٌ، فالكناية في الاصطلاح من لازم وملزوم، وقد تكلّمتَ باللازم وأردت الملزوم فهذه اللغة، فإذا أردت اللازم والملزوم معاً فهو الاصطلاح.

---

[1] - لسان العرب، ابن منظور (كني، 233/15).

[2] - مقاييس اللغة (كنو، 5 / 139).

[3] - مفتاح العلوم، السكاكي ص 512 .

ب- تعريف الاختراع:

الاختراع لغة: من الخَرَع، والخاء والراء والعين كما يقول ابن فارس: "أصلٌ واحدٌ، وهو يدل على الرَّخاوة، ثم يُحمَل عليه. فالْخِرْوَع نباتٌ ليِّنٌ؛ ومنه اشتقاق المرأة الخَرِيع، وهي الليِّنة ...الخ "[1].

وفي اللسان: "وقيل: اختَرَعه اشتقَّه، ويقال: أنشأه وابتَدَعه".[2]

وفي اصطلاح البلاغيين: خَلَقُ الأديب المعاني التي لم يُسبَق إليها [3].

والرابط بين اللغة والاصطلاح أنّ الأديب سهّل طريقة المعنى وليّنه حتى أبرزه[4]، فأمّا هو فتلطّفَ ولانَ في استخراجه، وأمّا مَن بعده فصار المعنى لهم ذَلولاً ممهّداً .

والاختراع أحسنُ الأدب، قال حازم القرطاجني: " مراتب الشعراء فيما يُلِمُّون به من المعاني إذن أربعة: اختراع واستحقاق وشركة وسرقة. فالاختراع هو الغاية في الاستحسان، والاستحقاق تالٍ له..."[5].

وربما سُمِّي الاختراع في بعض المراجع سلامة الابتداع أو سلامة الاختراع، كما عند النويري والسُّبكي وابن حجّة الحموي[6].

**وإنما تُرجى سلامته من السبق مِمَّا أُثِر من كلام العرب وسمع عنهم، لا مما درسَ ولم يؤبَه له.
ويمثِّلون له من الحديث بقوله صلى الله عليه وسلّم: ((هذا حين حمي الوَطيس))[7] .
والوطيس التنُّور فاستَعارَه النبيُّ صلى الله عليه وسلم للحرب تشبيهاً لحرِّها واضطرامها بحرِّه واضطرامه، قال أبو بكر بن الأنباري: "يُضرب مَثَلاً لشدة الحرب"[8]، وقال ابن الأثير: "ولم يُسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبي "[9] يعني قبلَه.**

---

[1] - مقاييس اللغة (خرع، 2 / 170) .

[2] - لسان العرب، ابن منظور (خرع، 8 / 67) .

[3] - العمدة، ابن رشيق 265/1 .

[4] - ينظر: العمدة، ابن رشيق 265/1، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب ص 42 .

[5] - منهاج البلغاء ص 196 .

[6] - نهاية الإرب 7/ 136، عروس الأفراح 469/4، خزانة الأدب 362/2.

[7] - من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في غزوة حنين . انفرد به من الستة مسلم في الجهاد والسير (في غزوة حنين) 1775 .

[8] - الزاهر فى معاني كلمات الناس 2 / 78.

[9] - المثل السائر 1 / 77.

فهذا مثالهم المشهور من الحديث، وربما ذكروا معه جملاً أخرى يسيرة يتداولها بعضهم من بعضٍ دون مراعاة وصف الصحة في الحديث[1] .

المطلب الثاني - نماذج من الاختراع في الكناية النبوية.

الكناية الأولى: أشيرَ إليه بالأصابع .

إذا اشتهر المرء بأمرٍ لزمَ ذلك أن يشار إليه بالأصابع في هذا الشأن، فكلمة (أشير إليه بالأصابع) كناية عن الشهرة التي جُسِّمت بحركة حسيّة تتوجه بها الأصابع .

وجاءت هذه الكناية في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا سَدَّدَ وَقَارَبَ فَارْجُوهُ، وَإِنْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فَلَا تَعُدُّوهُ))[2].

وقد ذكروا في شرح الحديث معانيَ أبرزها:

1- إذا اجتهد وبالغ ليشار إليه بالأصابع، فلا تعتدُّوا به لكونه مرائياً .

2- إذا اشتهر وأقبل عليه الناس بوجوههم كان على خطر العجب والغرور .

3- أن المبتدئ في العبادة تأخذه الحميّة والشهوة العَميّة فيُثقِل على نفسه وهو يرى أنه لن ينقطع، فلا تنظروا إليه في أوليّته وانتظروا فإن عاد إلى السنة وثبت عليها فهو ذاك، وإن خار وانقطع وارتد على أعقابه من حيث بدأ أو دونه فلا تعتدُّوه رجلاً إنما هو صاحب مزاج وهوىً، والحال التي يشار إليه فيها بالأصابع هي الثانية لبعد البون بين ما بدأ به وبين ما انتهى إليه ! .

فالأول حكاه المناوي[3]، والثاني حكاه الشيخ ملا علي القاري[4]، والثالث ذكر معناه الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله، وأثبت هذا الحديث في المنهاج الذي رسمه النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] - ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ 7/2، نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري 4/3، المزهر في علوم اللغة، السيوطي165/1.

[2] - الترمذي في صفة القيامة والرقائق عن رسول الله (باب منه) 2453، من طريق محمد بن عجلان عن القَعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة . قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه". وهو إسناد قوي إلا ما يقال من أنّ ابن عجلان اختلط عليه حديث أبي هريرة، والذي اختلط عليه إنما هو حديث أبي هريرة من طريق سعيد المقبري فحسب، ينظر: شرح علل الترمذي، ابن رجب 1/ 124.

[3] - ينظر: فيض القدير 2 / 512 .

[4] - ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 9/ 151 .

للعابدين، وكان مما قال: " ما كان يرضى أن يُمدَح الرجل بعباداته حال هجمته الأُولى وشِرّته ونشاطه أي بادئ الأمر حتى تمضي عليه مدة ويستقرّ أمره، فإن انتهى إلى حد السنة مُدِح وإن قصّر عنها فلا يُمدَح "[1].

ويشار إليه بالأصابع أو بالبنان لا أراها كانت قَبلُ، وأمّا بعدُ فأكثر من أن تُحصى ولاسيما في كتب التراجم والطبقات[2] .

والذي ذكره النقاد قريباً منها ممّا يحتمل أن يكون سابقاً لها كلمة لبيد بن ربيعة (-41هـ):

من يبسط الله عليه إصبعاً بالخير والشر بأيٍّ أولعا
يملأ له منه ذَنوباً مُترَعاً[3]

قال الزمخشري: "ومن المجاز: إنّ له على ماله إصبعاً، ورأيت على نَعَم بني فلان إصبعاً لهم، أي: يشار إليها بالأصابع لحسنها وسِمنها وحسن أثرهم فيها، قال لبيد:

من يبسط الله عليه إصبعا ...الخ "[4] .

والتحقيق أنّ كلمة لبيد ليست مما نحن فيه، إنما هما بابان في الإصبع أحدهما قولهم: إن له على ماله أصبعاً، وبسط عليه إصبعه، ونحوها، فهذا من المجاز بالتعبير عن الأثر الحسن بالإصبع كما يُعبّر عن المعروف باليد، ومثله ما يقال اليوم: ترك بصمةً وله بصمة.

والثاني: الإشارة بالإصبع وليس هذا من المجاز بل كناية عن شهرة الشيء واستدعاء النظر إليه في حسن أو قبح .

وكلمة لبيد من الباب الأول، وكذلك قول الراعي النميري (-90هـ) يصف راعياً بحسن تعهُّده للإبل ورِفقه بها:

ضعيفُ العصا بادي العُروق تَرى له عليها إذا ما أمحَلَ الناسُ إصبَعا [5]

---

[1] - محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الشيخ عبد الله سراج الدين ص 384 .

[2] - ينظر مثلاً ترجمة أبي الفرج بن الجوزي، وقولهم: فأصبح في مذهبه إماماً يُشار إليه . سير أعلام النبلاء 21 / 383.

[3] - ديوان لبيد بن ربيعة ص 337. وروي: من يجعل الله عليه إصبعا في الخير أو في الشر يلقه معاً ..
ينظر: تاج العروس، الزبيدي (صبع، 314/21) .

[4] - أساس البلاغة ص 323 .

[5] - ديوان الراعي النميري ص 102، والبيت لم يذكر ضمن الديوان نفسه، لكن محققه قال في هامش تلك الصحيفة تعليقاً على إحدى القصائد: "لعل من هذه القصيدة ضعيف العصا بادي العروق..البيت" على أنه مشهور، ولا يكاد يُختلَف في نسبته إلى الراعي، ينظر: الأمالي في لغة العرب، القالي 326/2، ومجمع الأمثال، الميداني 363/1.

فالمتقدمون من العلماء كابن قتيبة (276هـ) والحربي(285هـ) خرَّجُوه على حسن الأثر[1]، والطبقة الذين بعدهم كأبي علي القالي (-356هـ) وابن سيده (-458هـ) حملوها على الوجهين حسنِ الأثر والإشارةِ بالإصبع كنايةً عن الشهرة والاستحسان[2].

فالراجح في قولهم: (له عليها إصبع) حسنُ الأثر أمّا الحمل على الكناية فمتأخِّر، وما لي في بيت الراعي أرَبٌ إلا أنه يفسّر الرجزَ المنسوب للبيد بن ربيعة رضي الله عنه، الذي عاش أطول عُمُريه وقال أكثر شعره في الجاهلية[3].

فهذه الكناية النبوية من الاختراع ولم أعثُر على أنها قيلت قبلُ، وبيت لبيد الذي يُحتمل أنه سابقٌ ليس في هذا المعنى، والله أعلم .

الكناية الثانية: جفّ القلم بما أنت لاق .

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله ! إني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنَت ولا أجد ما أتزوّج به النساء، فسكت عني . ثم قلت مثل ذلك فسكت عني . ثم قلت مثل ذلك فسكت عني . ثم قلت مثل ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ، فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ))[4].

---

[1] - ينظر: غريب الحديث،ابن قتيبة 1/ 588، غريب الحديث، الحربي 1/ 299، ولم يذكر الميداني غيره في شرح مثَل (شر الرِّعاء الحُطَمة) مجمع الأمثال 1/ 363 .

[2] - ينظر: الأمالي، أبو علي القالي 2/ 327، المخصص،ابن سيده 5/ 125، 172/2، ولم أجده ذكر في المحكم 1/ 455 إلا حسن الأثر .

[3] - ينظر: الإصابة، ابن حجر 675/5 .

[4] - البخاري في النكاح (ما يكره من التبتل والخصاء) 5076، معلَّقاً، قال: قال أصبغ (ابن الفرج) عن ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة. والنسائي في النكاح (النهي عن التبتل) 3215، من طريق الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة، وقال: "الأوزاعي لم يسمع من الزهري هذا الحديث وهذا حديث صحيح قد رواه يونس عن الزهري" .

ملاحظتان مهمتان:

الأولى: رواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم و حسب قواعد المصطلح فإن ما رواه البخاري بصيغة الجزم كقال ونحوها فهو حكم بصحته عن المضاف إليه والنظر إنما هو في التحاق ما أبرز من سنده بشرط البخاري أو تقاصره عنه .

ينظر: تقريب النووي المطبوع مع تدريب الراوي 90/1،وفتح المغيث، السخاوي 1/ 68.

وساق الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى هذا الحديث في فتح الباري (9/ 119) ولم يذكر له علة تقصر به عن الصحة، وذكرَ جماعة وصلوه، وبين ذلك في تغليق التعليق (396/4)، فقال: " وقال أبو بكر الجوزقي في الجمع بين الصحيحين: أنا أبو حامد ابن الشرقي ومكي بن عبدان، قالا: ثنا محمد بن يحيى ثنا أصبغ بن الفرج بهذا ...ورواه الإسماعيلي عن القاسم عن الرمادي عن أصبغ، وأخرجه الفريابي في كتاب القدر عن محمد بن إسحاق بن التنوخي عن أصبغ به".

ثم قد حكم الإمام النسائي عليه بالصحة كما مرّ في تخريج الحديث .

ونحوها في حديث ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: ((... واعلَم أنّ الأمّةَ لو اجتمعَت على أن ينفعُوك بشيءٍ لم ينفعوكَ إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ لكَ ولو اجتمعُوا على أن يضرُّوكَ بشيءٍ لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبَه الله عليكَ رُفِعت الأقلامُ وجفّت الصُّحُف))[1] .

قال ابن دقيق العيد: "أي لا يكون خلافٌ لما ذكرت لك بنسخٍ ولا تبديل "[2].

وقال ابن رجب: "هو كنايةٌ عن تقدُّم كتابة المقادير كلِّها، والفراغ منها من أمدٍ بعيد، فإنَّ الكتابَ إذا فُرِغَ من كتابته ورفعت الأقلامُ عنه وطال عهده، فقد رُفِعت عنه الأقلام، وجفتِ الأقلام التي كتب بها مِنْ مدادها، وجفت الصَّحيفة التي كتب فيها والمداد المكتوب به فيها، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغِها "[3].

وقال الشيخ ملا علي القاري: "لأن الفراغ بعد الشروع يستلزمُ جفافَ القلم عن مداده فأطلق اللازم على الملزوم"[4].

وهي من الاختراع غير المسبوق، وقد رسخَت في ذهن الصحابة حتى إنّ البدوي منهم ليديرُها في كلامه كالمتمكِّن منها، فعن جابرٍ رضي الله عنه قال: جاء سُرَاقة بن مالك بن جُعشُم، قال: يا رسول الله بيِّن لنا ديننا كأنّا خُلِقنا اليوم فيما العملُ اليومَ أفيما جفَّت به الأقلامُ وجرت به المقاديرُ أم فيما

الثانية: قال العجلوني في كشف الخفاء (398/1) في حديث (جف القلم بما هو كائن): "قال في التمييز: رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حسن. انتهى. ورواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: جف القلم بما أنت لاق".

فالعجلوني حكى تحسين اللفظ المروي عن ابن عباس (جف القلم بما هو كائن) عن التمييز، وقال في مقدمة كشف الخفاء (1/ 8): " وحيث أقول:(قال في التمييز) فمرادي الكتاب المسمى بتمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث للحافظ عبد الرحمن بن الديبع تلميذ الإمام السخاوي، فإنه اختصر المقاصد الحسنة لشيخه المذكور". فآل الأمر إلى أن الذي حكم بالحسن أصلاً هو الإمام السخاوي وذلك في المقاصد الحسنة (257/1) حيث قال في حديث (جف القلم بما هو كائن): " ومن طريق الطبراني أورده الضياء في المختارة وهو حسن ".

فالذي أشار العجلوني إلى تحسينه هو لفظ: (جف القلم بما هو كائن) المشتهر على الألسنة والمروي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في المعجم الكبير للطبراني (11/ 223) رقم 11560، وذِكرُه بعدُ لحديث أبي هريرة الذي أدرسه:(جف القلم بما أنت لاق) إنما هو لبيان إخراج البخاري له صحيحاً من غير طريق ابن عباس.

فالتحسين إنما وقع على حديث ابن عباس (جف القلم بما هو كائن) لا على حديث أبي هريرة الذي هو موضع الدراسة (جف القلم بما أنت لاق) فإنه صحيح رواه البخاري معلقاً بصغة الجزم ووُصِل وحكم النسائي بصحته .

[1] - الترمذي في الزهد (صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه) 2516، وقال: حديث حسن صحيح .

[2] - شرح الأربعين النووية ص 95.

[3] - جامع العلوم والحكم ص 193 .

[4] - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 1 / 278 .

نَستقبِلُ ؟ قال: ((لاَ، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلاَمُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ)) قال: ففيمَ العملُ؟... فقال: ((اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ))[1].

فأنت ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد في الجواب الأول على ما قاله سراقة من هذه الكناية تأكيداً واستحساناً وتمكيناً لها في بابها .

وسراقة من الأعراب من بني مُدلِج، خبره في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وفي لبسه سواري كسرى ذائعٌ مشهور[2].

ثم أصبحت مثلاً، ذكر الميداني في أمثال المولدين: "كيف تَوَقِّيكَ وقد جفَّ القلم "[3].

ومنها: جفّ القلمُ فلا تتعنَّ [4].

الكناية الثالثة: الجنة تحت ظلال السيوف .

عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله[5] وكان كاتباً له قال: كتب إليه عبد الله ابن أبي أَوفَى رضي الله عنه فقرأته: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيباً، قال: ((أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)) ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)) [6].

---

[1] - مسلم في القدر (كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ..) 2648 .

[2] - ينظر: الإصابة، ابن حجر 41/3، وذكر أنه توفي سنة أربع وعشرين هجرية .

[3] - مجمع الأمثال 2/ 171 .

[4] - ذكره الزبيدي في تاج العروس أنه نحو مثَل:علِقت معالقُها وصرَّ الجندبُ، في إفادة استحكام الأمر (علق، 26/ 185).

[5] - هو عمر بن عبيد الله التيمي(-82هـ)، سيد تَيم، البطل الجواد، كان مع مصعب بن الزبير فكان فارسه وولي له ولايات، ولمّا استحكم الأمر لعبد الملك بن مروان أعانه في قتال الخوارج فنكّلَ بهم .

ينظر: تاريخ دمشق 290/45، الأعلام، الزركلي 54/5 .

[6] - البخاري في الجهاد والسير (لا تمنوا لقاء العدو) 3024 بهذا اللفظ، واقتصر على الجملة المقصودة في باب (الجنة تحت بارقة السيوف) 2819، ومسلم في الجهاد والسير (كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) 1742، وأبو داود في الجهاد (في كراهية تمني لقاء العدو) 2631 .

قال الدارقطني في التتبع ص 305: " وهو صحيح حجة في جواز الإجازة والمكاتبة، لأن أبا النضر لم يسمع من ابن أبي أوفى وإنما رآه في كتابه " .

والكلام في هذا الحرف: (الجنة تحت ظلال السيوف)، هذه الجملة العجيبة التي تمثِّل ذِروة التصعيد المعنوي في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المجاهدين، حيث ابتدأ بالنهي عن تمنّي لقاء العدو، ثم سؤالِ العافية كأنما يريد تنظيم الحماسة التي تضطرم في نفوسهم حتى يلتزموا النظامَ والحذرَ وعدمَ الاستخفاف بالعدو، وأن القتل ليس للقتل بل الأصل السلم ولا يُترَك حتى تلجئ إليه ضرورةُ إعلاءِ كلمة الله فإنها السِّلم الحقّ . ولئلا تؤدي بهم هذه المقدِّمة إلى شيء من الخوف أو التقاعس حثَّهم على الصبر عند اللقاء، ثمّ سقاهم هذه الشَّربة الأدبية الرائقة اللذيذة: واعلموا أنّ الجنة تحت ظلال السيوف .

ولقد وقعت هذه الكلمة من الصحابة في حبّات قلوبهم، وها هو القائد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه في بعض مشاهده يذكرها ولا يذكر غيرها، فعن ابنه أبي بكر سمعَ أباه وهو بحضرة العدو يقول، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)). فقام رجل رثُّ الهيئة فقال: يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله يقول هذا ؟ قال: نعم . قال فرجع إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السلام. ثم كسر جَفْنَ سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قُتِل [1].

فانظر أين وقعَت ممّن بعدَهم أيضاً ! .

وأحسب أن كلمة (أبواب) في حديثه مدرجة، إذ خلا منها حديث ابن أبي أوفى وهو مما اتفق عليه البخاري ومسلم فأفاد علماً قطعياً نظرياً[2]، مع وجود قرينة تدل على الدقة فيه وهي المكاتبة التي لم تكن – في هذا الموضع - إلا مع رويّة واستجماع فكرٍ وتمام سياق، ليس كمن يروي في حال التحام مع العدو فيجتزئ على بعض الحديث، إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قالها على الوجهين، والله أعلم .

قال ابن قتيبة في شرحها: " يريد أن الجهاد يؤدي إلى الجنة فكأن الجنة تحته "[3].

وصرّحوا بأنه كناية عن الدنوّ من العدوّ، والقُرب من القِرن حتى يصير تحت ظلّ سيفه[4].

ومن طريق إسماعيل بن أبي خالد عن ابن أبي أوفى قال سمعته يقول – يعني النبي صلى الله عليه وسلم – يدعو على الأحزاب فقال اللهم .. الخ الدعاء . رواه الترمذي في الجهاد عن رسول الله (ما جاء في الدعاء عند القتال) 1678، وابن ماجه في الجهاد (لقتال في سبيل الله سبحانه وتعالى) 2796 .

والسياق الأول أتم .

[1] - مسلم في الإمارة (ثبوت الجنة للشهيد) 1902 .

[2] - ينظر: تدريب الراوي، السيوطي 106/1 .

[3] - تأويل مختلف الحديث 1 / 122 .

[4] - ينظر: فتح الباري، ابن حجر 152/1 .

ولعمري إنها كناية مُحبّرةُ اللونِ والملمسِ، فعند تثبيت اللقطة وحبس الزمن، يظهر لونان من أجمل الألوان وأطيبها هما الأبيض والأخضر، فالأبيض لون السيوف المتشابكة تحت شعاع الشمس، وهي وإن كانت أميلَ للسواد حقّاً بيدَ أنّ العرب لا تصفها ولا تمدحها في أغمادها ولكن مُشهَرةً بيضاءَ برّاقةً في ضوء الشمس إبّان القتال، والأخضرُ اللون المقترن بالجنة من بساطها وطيرها وسندسها وشجرها .

وكما تجاور اللونان يتجاور الملمسان الحارّ والبارد، فالحار يُحَسُّ بالتوقُّع من احتكاك السيوف واصطدامها وحرِّ الشمس فوقها وحرِّ القتال والحركة والنفوس والأجسام، والبارد بالتوقُّع من كلمة الظلال ظلال السيوف وظلال الجنة. وهذه المعاني هي التي تجاذبُ الحسَّ وتهيمنُ على الذاكرة فتؤثِّر في أفعال المرء وسلوكه، والله أعلم .

ثم هي من الاختراع الذي تسابق إليه أكابر البلغاء في العصور كلها مع قصورهم عنها وانقطاعهم دونها، وأضرب الأمثلة من الأول والأوسط والآخر:

فمن الأول خطبة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (-73هـ) في مقتل أخيه مصعب: "وإنا والله ما نموت حَبَجاً كميتة آل أبي العاص، إنما نموت قتلاً بالرماح، وقعْصاً تحت ظلال السيوف "والحبج موت البعير من انتفاخ بطنه والقعص القتل والموت الوحِيّ [1].

ومن الأوسط قول الوزير ضياء الدين بن الأثير (- 637هـ) ممثِّلاً للاقتباس من الحديث النبوي: "ومن ذلك ما ذكرته في ضيق مجال الحرب، وهو: وضاق الضرب بين الفريقين ... واستُظِلّ حينئذٍ بالسيوف لاشتباك مجالها، وتُبوِّئت مقاعدُ الجنة التي هي تحت ظلالها " [2].

ومن الآخر قول مصطفى صادق الرافعي رحمه الله (- 1356هـ = 1937م) في المرأة إنها كانت جزءاً من تاريخ الحرب في الجاهلية، قال: " فإن كانت بنتاًلم تعش إلا في ظلال السيوف، وإن كانت أمّاًلم تلد إلا قاتلاً أو مقتولاً..." [3].

فأما الأول والأخير فلم يذكرا إلا ظلالَ السيوف ولكلٍّ وجهة هو مولِّيها، وأما ابن الأثير فما زاد على أن فسّر العبارة .

---

[1] - ينظر: الكامل في اللغة والأدب، المبرد 1 / 238، وجمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت2 / 177.

[2] - المثل السائر 141/1 .

[3] - تاريخ آداب العرب 3/ 65 .

الكناية الرابعة: حجرت واسعاً .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاةٍ وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. فلما سلّم النبي صلى الله عليه وسلم قال للأعرابي: ((لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا)) يريد رحمة الله . هذه رواية البخاري، وزاد الترمذي: فلم يَلْبَث أَن بَالَ في المسجد، فأسرع إليه الناسُ، فقال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: ((أَهريقُوا عليه سَجْلا من ماءٍ)) - أو دَلْوا من ماءٍ - ثم قال: ((إِنَّمَا بُعِثْتُم مُيَسِّرِينَ ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِين)).

وفي رواية ابن ماجه: ((احتظرت واسعاً)) [1].

الكناية فيه: (واسعاً) كنايةٌ عن موصوف هو رحمة الله، فبها جرى القرآن وَرَحْمَتِي وَسِعَت كُلَّ شَيءٍ.{الأعراف:156}، وبها صرّح راوي الحديث، قال ابن حجر: " والقائل: (يريد رحمة الله) بعض رواته وكأنه أبو هريرة " [2].

قال الدكتور أحمد ياسوف: " الإسلام يستبعد تضخم الذات على حساب الآخرين"[3]، ثم إنه قلَّب الرواية ليستنبط من كلٍّ معناه، ففي (حجّرت) معنى القسوة والشدة لاقترانها بالحجر، وفي (احتظرت) إيحاءٌ بالحيوانية لاقترانه بالحظيرة.

وأقدِّرُ أن (احتظرتَ) وهمٌ أو رواية بالمعنى، والمحفوظ (حجَّرتَ) كما عند البخاري وغيره، وانظر تخريج الحديث ففيه مزيد بيان . والحظرُ وإن كان أصلاً يدل على المنع، إلا أنّ في الحَجْر معنىً زائداً

---

[1] - البخاري في الأدب (رحمة الناس والبهائم) 6010 من طريق الزهري عن أبي سلمة عنه، والترمذي في الطهارة عن رسول الله (ما جاء في البول يصيب الأرض) 147، من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عنه، وأبو داود في الصلاة (الدعاء في الصلاة) 882، من طريق الزهري عن أبي سلمة عنه، والنسائي في السهو(الكلام في الصلاة) 1216، من طريق الزهري عن أبي سلمة، وابن ماجه في الطهارة وسننها (الأرض يصيبها البول كيف تغسل) 529، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة، قال فيه: احتظرت .

ومحمد بن عمرو بن علقمة الليثي على جلالته " صدوق له اوهام، من السادسة .../ع " كما في تقريب التهذيب، ابن حجر 2/ 499 . نعم روى له البخاري مقروناً ومسلم متابعة، وضعفه بعض الأئمة من جهة حفظه، ووثقه بعضهم لصدقه وجلالته فحديثه حسن .ينظر: شرح علل الترمذي، ابن رجب 115/1، وتعليق محققه الأستاذ الدكتور نور الدين عتر 1/ 116، الحاشية رقم 3.

ويلاحظ من مطالعة ترجمته ثَمَّ أن أكثر ما نسب إليه من الوهم هو في روايته عن أبي سلمة وبها تكلَّم ابن معين وعلل اتقاء الناس لحديثه، وحديثه الذي قال فيه (احتظرت واسعاً) يرويه عن أبي سلمة ويخالف الثقات أيضاً فهي رواية بالمعنى، والله أعلم .

[2] - فتح الباري 10 / 439 .

[3] - الصورة الفنية في الحديث النبوي، ص 427، وينظر لما بعده ص 428 .

يتعلق بالشدة والصلابة ليس من شرط الحظر[1]، والأعراب يوسَمُون بقسوة وتحجّر ولكنهم لا يؤبَنون بدناءة نفس أوهبوط حيواني .

وهي من الاختراع الذي لم يكن، ولابن فارس اقتباسٌ شهير لهذا التعبير في رسالة كتبها لبعض إخوانه[2]، يعيبُ عليه رفضَهُ أن يؤلِّف بعض عصريِّيه حماسةً بعد أبي تمام، جاء فيها: " ولمه حجَّرت واسعاً وحظرت مباحاً وحرّمت حلالاً وسددت طريقاً مسلوكاً ؟".

قلت: الأولى في السماء والباقيات على الأرض؛ لأنها تطير بمحرِّك ذاتي من الإنكار إذ يستحيل تحجيرُ الواسع، وأما الأخريات فالإنكار خارجي عنها إذ لا يستحيل حظر المباح ولا تحريم الحلال ولا سد الطريق.

الكناية الخامسة: أكل بعضي بعضاً.

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً ! فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ الزَّمْهَرِيرِ))[3].

موضع الكناية: ((أكلَ بعضي بعضاً)) كناية عن خلاء جوفها وشدة جوعها إذ يردف خلوّ النار مما تأكله أن تأكل بعضَها .

قال الإمام الباجي: "يريد بذلك كثرةَ حرِّها، وأنها تضيق بما فيها، ولا تجد ما تأكله وتحرقُه حتى يعودَ بعضها على بعض "[4].

ولا بد لفحص الكناية من تبيُّن معنى شكوى النار إلى ربها، فهذا الضربُ من الشكوى والتغيّظ والزفير ونحوه فيه مذهبان:

---

[1] - ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (حظر، 2 / 80) و(حجر، 2 / 138) .

[2] - يتيمة الدهر، الثعالبي 3/ 366، وأثبتها الشيخ عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه لمقاييس اللغة 16/1.

[3] - البخاري في بدء الخلق (صفة النار وأنها مخلوقة) 3260، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر..) 617، والترمذي في صفة جهنم (ما جاء أن للنار نفسين..) 2592، وابن ماجه في الزهد (صفة النار) 4319 .

[4] - المنتقى 1/ 31.

الأول: الحمل على الظاهر والحقيقة وأنّ شدة الحر من وهجها وفيحها، وجعلَ الله تعالى فيها إدراكاً وتمييزاً بحيث تكلّمت بهذا، وهو الذي استصوبه الجماهير من العلماء منهم ابن عبد البر والإمام النووي[1]، وعليه فإن النار مخلوقةٌ كما هو مذهب أهل السنة، وبه ترجم الإمام البخاري للحديث.

والثاني: الحمل على المجاز وتقديره أن شدة الحر تشبه نار جهنم فاحذروه، وشكواها مجاز عن غليانها، ويكثرُ أن تستعير العرب الكلام للحال وتسمِّيه لسان الحال، فمنهم من ذهب إليه مع القول بإمكان الأول كالإمام البيضاوي[2]، ومنهم من قال بالمجاز ومنعَ الحقيقة كالإمام الزمخشري[3]والمعتزلةِ الذين لا يجوزون قيام الحياة إلا ببنية مخصوصة تُتَصوّر فيها الحياة[4]، خلافاً لأهل السنة الذين لا يشترطون البنية ويجوّزون أن يخلق الله تعالى الحياة ولو في جزء واحد من الأجزاء التي تتجزّأ بوجه من وجوه الانقسام[5].

قال الإمام الرازي: "هؤلاء المعتزلة ليس لهم في هذا الباب حجة إلا استقراء العادات ولو صدق ذلك لوجب التكذيب بانخراق العادات في حق الرسل، فهؤلاء قولهم متناقض بل إنكار العادات لا يليق إلا بأصول الفلاسفة"[6].

واستعارة العرب الكلام للحال لا تظهر في هذا الحديث، وعن الزين بن المنيّر أن المختار فيه الحمل على الحقيقة " لصلاحية القدرة لذلك، ولأن استعارةَ الكلام للحال وإن عُهِدت وسُمِعت لكن الشكوى وتفسيرَها والتعليلَ له والإذنَ والقبولَ والتنفُّسَ وقصرَه على اثنين فقط بعيدٌ من المجاز خارج عما أُلِف من استعماله"[7].

---

[1] - ينظر: التمهيد، ابن عبد البر 5 / 11، وشرح النووي على صحيح مسلم 5 / 120.

[2] - ينظر:تفسير البيضاوي 4 / 208.

[3] - ينظر: الكشاف 3 / 272.

[4] - قال القاضي عبد الجبار: "ولا يكون المحل مهيّأً لصحة وجود الحياة فيه إلا مع بِنية مخصوصة تقتضي كونه جسماً" المجموع في المحيط بالتكليف ص 124.

وأصل المعتزلة أصحابُ واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري، ثم كانوا فرقاً وطرائق، ينظر: مقالات الإسلاميين ص 155- 171، والتعريفات، الجرجاني ص 282 .

[5] - ينظر: المواقف، العضد الإيجي 2/ 55 .

[6] - تفسير الرازي 24 / 49.

[7] - نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري 2/ 19 عن المتواري في تراجم البخاري لزين الدين علي بن المنيِّر (-699هـ) وكتابه مفقود، والمعروف كتاب أخيه ناصر الدين أحمد (- 683هـ)، وهو أخصَرُ من الأول، طُبع بتحقيق صلاح الدين أحمد في الكويت، وليس فيه العبارة التي ذكرها الحافظ ابن حجر .

وفي ضوء الحقيقة، فإن هذه الكلمة الموجزة تصوِّر هول الموقف وشدة ما ينتظر الكافرين وتجمع أنواعاً من الفنون التصويرية البصرية والسمعية واللمسية والتشخيص والتجسيم والإيقاع التصويري واللون والحركة.

فالتشخيص في النار أن تنطقَ وتعبِّرَ عن نفسها بياء المتكلم (بعضي)، ومع أن النار شخصية حقّة كما ترجّحَ فالخوف منها يتعاظم إذا جُلبِبَت بثوب الإرادة، وتسلّل إلينا صوتها كأنه صوت مخلوق عظيمٍ مخيفٍ يتضوّر جوعاً .

والتجسيمُ أن تَحوّلَ اللطيفُ إلى كثيف في صورة بصرية عجيبة حيث النار تتبعّض ويأكل بعضها بعضاً، ومعلوم أن النار الدنيوية المعهودة إذا نفدَ زادُها أكل بعضها بعضاً على سبيل المجاز أي أخذت بالضمور والتلاشي، أمّا جهنم فيأكلُ بعضها بعضاً ولا تخبو ولا تنطفئ، وهذا يعني أنّ التبعُّض حقيقي وأن الأكل حقيقي حيث يبلغ من كثافة النار أن تكون وقوداً وناراً في آن واحد.

وهي صورة لمسية ضغطية، حيث ينتقل الإحساس إلى المتلقي بوحي الحالة فيستشعر هذا التبعضُضَ واضطرامَه واعتراكه في بطنه هو، وسائر الحديث يؤكد الصورة اللمسية بالنفسين الحرور والزمهرير اللذين يعانيهما المتلقي ويحسُّ بهما أشدّ إحساس وأبلغه في لُبَّتَي الصيف والشتاء .

والإيقاع مصوِّرٌ فتوالي الباء والعين في بعضي بعضاً يوحي بالتجزئة لتباعدهما في المخرج إذ الباء شفوي والعين حلقية، وهذا معنى البعضية في الأصل[1]، وتليهما الضادُ مُطبَقةً مستطيلةً مُشعرة بالتجسيم والكثافة، ويأتي الخفض ثم النصب ممدُودَين مصوِّرين لحركة تداخل النار واختلاف ألسنتها على نحو ما نرى في نيران الدنيا .

ويزيد من حيويّة الحركة في الصورة ما نتوقّعه فيها من ألوان نارية متغيرة أسود وأحمر وأزرق وغير ذلك ..

فانظر إلى الكناية ومنزلتَها من الحوار الذي جرى بينها وبين ربها سبحانه وتعالى تجدْها المستودع الذي شُحِن بالمؤثرات وما ينبغي للقلب إلا أن يطيرَ شَعاعاً من قول النار: أكل بعضي بعضاً، فثمَّ الترويعُ الذي يعضد الغاية الترهيبية غير المباشرة .

---

[1] -قال ابن فارس رحمه الله: "الباء والعين والضاد أصلٌ واحدٌ، وهو تجزئة للشيء. وكلُّ طائفة منه بعضٌ" مقاييس اللغة (بعض،1 / 269) . ولا أظن من قبيل المصادفة أن تُستعمل الباء والعين في بَعْد للدلالة على الانفصال والإرداف، وفي بُعْد للدلالة على التباين، ينظر: مقاييس اللغة (بعد، 1 / 268) .

وأحسبها من الاختراع فإن العرب وإن بعّضَت مجازاً ما لا يتبعّضُ نحو تبعيضهم الشرَّ في قول طرفة:

أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبق بعضَنا   حنانَيك بعضُ الشرِّ أهونُ من بعض[1]

إلاّ أنّ هذا التركيب (بعضي بعضاً) لم يسبق في كلامهم إلا بما يتبعّض حقيقة؛ لأنه موغل في الجسمية، ولم أر فيه إلا قول النَّمْر بن تَولَب رضي الله عنه:

أصبحتُ لا يَحملُ بعضي بعضاً   أشكو العروقَ الآبضاتِ أَبْضاً[2]

يذكُر تفكُّكَ جُسمانه وانحلالَ بنيانه والوهن في أعضائه وأبعاضه، وعلى حُسنِها فأين تقع من الكناية النبوية التي بعّضت النار تبعيضاً زاد من هَولها وعُنفوانها بما يشبه تبعيضَ الذرة وانشطارَ النواة واعتلاجَ الصخور واعتراكَ الوحوش؟

لقد حاولها ابن المعتز(-296هـ)، فقال:

اِصبِرْ على كيد الحَسودِ   فإنّ صبركَ قاتِلُه
فالنّارُ تأكُلُ بَعضَها   إنْ لم تجدْ ما تأكلُه[3]

وهذا التشبيه الضمني غاية في الحسن، موفّقٌ في بابه إذ يشبِّه ضُمورَ الحسود وموتَه بغيظِه بالنار التي نفد زادها فأكلت بعضها حتى خبَت، لكن جهنم يأكل بعضها بعضاً فتزيد حرّاً واضطراماً .

على أن ابن المعتز حُرِم مع ذلك الإيقاع الفذَّ في (بعضي بعضاً)، حينَ اقتصر على بعضٍ واحد .

---

1 - ديوان طرفة بن العبد ص 172.

وجرى قوله هذا مجرى المثل، ينظر: جمهرة الأمثال، العسكري 1/ 580، المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري 2/ 10 .

ومعنى حنانيك: تحنناً بعد تحنن ورحمة بعد رحمة . ثم اختلف في التوجيه فقيل رحمتَك أنتَ، وقيل: رحمَك الله، ينظر: غريب الحديث، أبو عبيد 4/ 401، والزاهر في معاني كلمات الناس، ابن الأنباري 1/ 96 .

2 - ديوان النمر بن تولب العُكلي، ذكره محققه في المقدمة، ص17، ولم أره في سائر الديوان، وهو في الأغاني، أبو الفرج 22 /286.

والأَبضُ الشدُّ والأبضُ التخلية فهما ضدّان، والأبضُ السكون والأبضُ الحركة فهما ضدان، وأنشده ابن الأعرابي في معنى الحركة على ما قال الزبيدي، تاج العروس (أبض، 18/ 222) .

فيبدو لي أن لهذه الكلمة وظيفة التوتر في البيت لدلالتها على الأضداد، وهذه هيئة الهَرِم لا تطمئنّ عروقُه، ولا تزال بين شدٍّ وتخلية وسكون وحركة، وأكثر أوجاعه من هذا التوتر والاضطراب الحاصل في الدم .

والنَّمر بن تولب العكلي يذكر في الصحابة، كان شاعراً مجيداً جواداً يُشبَّه شعره بشعر حاتم، قيل وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له كتاباً، ثم نزل البصرة وعمّر طويلاً . ينظر: الإصابة، ابن حجر 6/ 470 .

3 - كذا في نهاية الأرب، النويري 95/3، وفي ديوان ابن المعتز 2/ 403: تأكل نفسها .

الكناية السادسة: أخذت بحقو الرحمن

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:

((خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ[1] مَهْ قَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ. قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَاكِ)) [2].

موضع الكناية (فأخذت بحقو الرحمن): وهي كناية عن الاستجارة.

والحديث صحيحٌ رواه البخاري ومسلم، ومداره على معاوية بن أبي مزرِّد. لكن هذا اللفظ (فأخذت بحقو الرحمن)لم يروه إلا خالد بن مخلَد عن سليمان بن بلال عن معاوية عند البخاري، وأبو بكر الحنفي عن معاوية في مسند الإمام أحمد . وأبو بكرٍ ثقةٌ كما بيّنت في التخريج .

فالزيادة صحيحة، ويرجّح كفتها احتمال أنّ من لم يروها إنما فعل ذلك تحرّجاً وظناً منه أنها لا تؤثر في المعنى واكتفى بقوله (هذا مقام العائذ بك) باعتباره يقوم مقام (فأخذت بحقو الرحمن) ويغني عنها، وحُكي نحو هذا عن أبي زيد المروزي راوي البخاري عن الفربري، قال ابن حجر: "قال القابسي: أبى أبو زيد المروزي أن يقرأ لنا هذا الحرف لإشكاله "[3].

---

[1] - كذا الرواية (له)، والمعنى قال لهذا الشيء من الخلق .

[2] - رواه من الستة البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري.

ومدار الحديث على معاوية بن أبي مزرِّد يرويه عن سعيد بن يسارٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وبهذا اللفظ (فأخذت بحقو الرحمن) رواه البخاري في تفسير القرآن (وتقطِّعوا أرحامكم) 4832، عن خالد ابن مخلَد عن سليمان ابن بلال عن معاوية بن أبي مزرِّد . ومن دونها رواه في التوحيد (قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله) 7502 عن إسماعيل بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن معاوية، وفي الأدب (من وصل وصله الله) 5987 من طريق عبد الله بن المبارك عن معاوية .

ورواه مسلم في البر والصلة والآداب (صلة الرحم وتحريم قطيعتها) 2554، من طريق حاتم بن إسماعيل عن معاوية من دونها أيضاً .

إذاً تفرّد بالزيادة خالد بن مخلد عن سليمان عن معاوية، وخالد وهو القَطَواني أبو الهيثم الكوفي " صدوق يتشيّع، وله أفراد . من كبار العاشرة... /خ م كد ت س ق ". تقريب التهذيب، ابن حجر 190/1

لكن هذه الزيادة رواها الإمام أحمد في مسند المكثرين من الصحابة (مسند ابي هريرة) 8349 عن أبي بكر الحنفي عن معاوية ابن أبي المزرد، وأبو بكر هو عبد الكبير بن عبد المجيد بن عبيد الله البصري " ثقة من التاسعة، .../ ع " . تقريب التهذيب 360/2 .فالراجح قبول هذه الزيادة وصحتها .

[3] - فتح الباري 580/8 .

وروي حديث أبي هريرة رضي الله عنه من وجه آخر بلفظ: ((تعلّقت بحَقوي الرحمن))[1]، وهو بمعنى أخذت بحقو الرحمن .

والحقو بالفتح والكسر الكَشح والخصر، واستعمل مجازاً عن الإزار أو معقده[2]، وهو الموضع الذي يستجار به على عادة العرب؛ لأنه من أحقِّ ما يحامى عنه ويُدفع .

قال الإمام البيهقي في شرحها: "معناه استجارت بالله و اعتصمت به، كما تقول العرب تعلَّقتُ بظلِّ جناحه أي اعتصمت به. وقيل: الحَقو الإزار، وإزار الله -عزّ وجلّ – عزُّهُ، ومعناه أنه موصوف بالعز، فاستعاذت الرحم بعزِّ الله من القطيعة ولاذت به "[3] .

وقال القاضي عياض:" استعير هذا الكلام للاستجارة يقال: عذت بحقو فلان، أي: استجرت به . لمّا كان من يستجير بآخرَ يأخذ بثوبه وإزاره فهو في حق الله تعالى بهذا المعنى والله تعالى مُنـزَّهٌ عن المشابهة بخلقه "[4].

وهذا الأخذ والقيام والكلام بالنسبة إلى الرحم هو كما قال الحافظ ابن حجر: "يحتمل أن يكون على الحقيقة والأعراض يجوز أن تتجسد وتتكلّم بإذن الله .

ويجوز أن يكون على حذف، أي: قام مَلك فتكلَّم على لسانها .

---

[1] - رواها الطبراني في الأوسط (حديث هاشم بن مرثد) 9317، والطبري في تهذيب الآثار 1 / 135، من طريق أبي جعفر الرازي عن عبد الله بن دينار عن بشير بن يسار عن أبي هريرة. قال الطبراني: "لم يروهذا الحديث عن عبد الله بن دينار عن بشير بن يسار إلا أبو جعفر الرازي" .

قال ابن حجر: " مشهور بكنيته، واسمه عيسى ابن أبي عيسى عبدالله ابن ماهان، وأصله من مرو وكان يتجر إلى الري صدوق سيّئ الحفظ، خصوصاً عن مغيرة، من كبار السابعة ../ بخ 4" تقريب التهذيب 629/2.

قال ابن معين: ثقة وهو يغلط فيما يروي عن مغيرة – أي ابن مقسم-، وقال أبو حاتم الرازي: ثقة صدوق صالح الحديث، وقال ابن عدي: روى عنه الناس وأحاديثه عامتها مستقيمة وأرجو أنه لا بأس به. وعن الإمام أحمد: صالح الحديث، وعن ابن المديني فيه ضعف، وعن النسائي: ليس بالقوي، وعن ابن خراش: صدوق سيئ الحفظ، وعن ابن حبان أنه ينفرد عن المشاهير بالمناكير، قال: لا يعجبني الاحتجاج بحديثه إلا فيما وافق الثقات.

ينظر: تاريخ ابن معين برواية الدوري 4 / 358، الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم 6 / 280، الكامل في الضعفاء، ابن عدي 5 / 254، تهذيب التهذيب، ابن حجر 503/4 .

وحديثه هنا ليس عن مغيره، ويحتمل أن تكون (تعلّقت بحقوي الرحمن) روايةً بالمعنى لأخذت بحقو الرحمن.

[2] - لسان العرب، ابن منظور (حقا، 14 / 189) .

[3] - شعب الإيمان 6 / 214 .

[4] - مشارق الأنوار على صحاح الآثار 1 / 411 .

ويحتمل أن يكون ذلك على طريق ضرب المثل والاستعارة، والمراد تعظيم شأنها وفضل واصلها وإثم قاطعها "[1].

وذكر الشيخ ملا علي القاري أنه من أحاديث الصفات، وأن الرحم معنى من المعاني فإما أن يُترك على حاله ولا يُتصرّف في منواله كما هو طريق السلف أو يؤوّل على دأب الخلف[2].

والقضية في الرحم أرفق بالشارحين من قضية الحَقو مع أنه يتنزل على المذهبين أيضاً فعلى مذهب السلف تمرُّ بلا كيفٍ وعلى مذهب الخلف تؤوّل جميعاً على الاستعارة التمثيلية.

وعلى الكناية نخرج من الإشكال ولا نضطر إلى تأويل ولا ننفي الصفة، فالاستجارة ملزومٌ وتعلُّق الرحم بحقو الرحمن لازمٌ مثْبَتٌ دلَّ على الملزوم، من دون أن نضطر إلى الخوض في حقيقة هذا الحقو ولا أن ننفي الصفة .

والشاهد الآن أن هذه الكناية (الأخذ بحقو الرحمن) من الاختراع، ولا ريب أنّ الحالة الشعورية المجسَّمة في حركة تعلُّقٍ بالإزار كانت قبْلُ ولكن لم يسجِّلها العرب أولم يحسنوا التعبير عنها حتى جاء الحديث.

وكتبُ اللغة والمعاجم تتناقل بيتين في شرح هذه العبارة من غير نسبة، أحدهما:

سَماعَ اللهِ والعلماءِ أَنِّي   أعوذُ بحَقْوِ خالك يا ابنَ عَمْرِو [3]

والثاني:

وعُذْتُم بأحقاء الزَّنادقِ بعدما   عركتُكُمُ عَركَ الرّحى بثِفالها[4]

وهما إسلاميان كما هو ظاهر، فالأصل ما جاء في الحديث كنايةً ثم صار مثلاً يتداوله الشعراء. ومن أشهر ما قيل بعدُ قول أبي تمام (-231هـ):

ولاذت بحقويه الخلافةُ والتقت   على خدِرها أرماحُه ومناصِلُه [5]

---

[1] - فتح الباري 8 / 580 .

[2] - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 245/4.

[3] - من شواهد سيبويه في الكتاب 1/ 340، وذكره ابن منظور في لسان العرب (حقا، 14 / 189).

[4] - ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (حقا، 124/5)، وابن منظور في اللسان (حقا، 14 / 189).

[5] - ديوان أبي تمام 3/ 26، والثفال جلد يوضع تحت الطحين إذا عركته الرحى وقاية له من التراب، لسان العرب (ثفل، 11/ 84) .

وللبحتري (-284هـ) أخذاً منه:

لاذت بحَقويه الخلافة ؛ إنها قِسْمٌ لأفضل هاشمٍ فالأفضل[1]

وابن الرومي (- 284هـ) استعملها في أربعة مواضع من ديوانه[2]:

ظُلِمت حاجتي فلاذت بحقويـ ـك فأسلمتُها بكفّ القضاء
وهم لائذون مني بحقويـ ـك وشيطانهم ذَلولٌ رَكوبُ
أعوذ بحقويك العزيزين أن أُرى مُقِرّاً بضيمٍ يترك الوجهَ حالكا
أنا بالله عائذٌ وبحقويـ ـك وآلاء كفِّك المسؤولةْ

ومع كون الأصل في هذه الكناية ما جاء في الحديث على ما تعارف الناس من بيئتهم عند الاستجارة واللهفة، وعند الاطمئنان في جوار الأعزَّة، فإن الناسجين على منوالها قصروا عنها؛ ذلك أن الرحم في الكناية النبوية جاءت مشخّصةً أُلبِست ثوب الإرادة والشعور.

والتشخيص في اصطلاح النقد الحديث: "إبراز الجماد أو المجرد من الحياة من خلال الصورة بشكل كائن حي، متميز بالشعور والحركة والحياة" [3].

والرحم معنىً وثمرةُ تشخيصها أن الناس مع اعتقادهم بالمعاني لا يحسبون لها الحساب ولا يرون لها الحقَّ الذي يرونه للأشخاص ذات الإحساس والتفكير. كلّ هذا لاستحياء صلة الرحم بينهم وإنقاذهم من الغرق في لُجَّة الحياة فُرادى .

وبالتشخيص تفضل البيتين اللذين نقلتهما المعاجم: "أعوذ بحقو خالك"، و"عذتم بأحقاء الزنادق"، أما الكناية في بيتي أبي تمام والبحتري فمع تشخيصهما للخلافة إلا أن التكلف ظاهر فيهما من جهة أن مقام الخلافة بطبعه مقام قوة لا يحسن به الضعف والاستجارة، أما الرحم فخلقٌ مُستضعَف سرعان ما يهمله الناس إذا غلبتهم الدنيا إقبالاً أو إدباراً .

وأحسن ما قيل بعدُ بيتُ ابن الرومي "ظلمت حاجتي فلاذت بحقويك" مع كونها لم تلذ بحقويه حتى ظلمت، خلافاً للرحم التي لاذت بحقو الله ابتداءً والتي قد يكون تشخُّصُها حقيقياً كما تبين من كلام الحافظ ابن حجر، والله أعلم .

---

[1] - الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري 2/338.

[2] - هي على الترتيب في ديوان ابن الرومي 1/ 71، 1/ 320، 5/ 1825، 5/ 2042 .

[3] - المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص 67 .

خاتمة:

فهذه ست كناياتٍ أقدّمها لتضاف إلى سجلِّ الاختراع النبوي، جُلِيَ من حُسنِها مقدارٌ يثبتُ قصورَ الأدب العربي عنها مع تأثره بها، وهو بحث أدى بي إلى النتائج الآتية:

أولاً- باب الكشف عن الاختراع في الحديث النبوي مفتوحٌ لا يشاء أحد أن يقع على جديد منه إلا وجد.

ثانياً- السمو البلاغي في الكنايات النبوية دائر مع صحة اللفظ، وهذا يؤكد ضرورة الاعتماد على منهج نقد المحدثين للمتن والإسناد، وتخيُّر لفظ النبي صلى الله عليه وسلم في الدراسة الأدبية.

ثالثاً- تعبِّر الكنايات النبوية المخترعة عن صورٍ بيئية حاضرة في ذهن العربي لم يكن يستطيع التعبير عنها بالطريقة الملائمة، وهذا يفسِّر التأثير القويّ للكناية النبوية في نفوس المتلقِّين.

رابعاً – تحتوي الكنايات النبوية على عناصر متنوعة من التصوير الفني من تشخيص وتجسيم ولون وحركة وإيقاع وهذا يؤدي إلى زيادة التأثير في المتلقي .

خامساً- ظهر من مقارنة الكناية النبوية المخترعة بما جاء عن بلغاء العرب وأكابر شعرائهم المتأثرين بها أنهم قصَّروا عنها حين راموا حكايةَ المعنى، فإذا اقتبسَ منها الأديب الأريب كانت كلمةُ النبي صلى الله عليه وسلم كالعروس من حولها وصيفاتها، ومِن عجَبٍ أن كنايات الحديث وأمثالَه لا تُبتذَل بالإيداع والاقتباس من أهل الأدب بل تزداد توقّداً كلّما نفخوا فيها، وتظهرُ فضيلتُها حيث حلّت من كلامهم .

لذا أقترح أن يَنتدِب لموضوع الاختراع النبوي قومٌ ممن طلبوا الحديث والأدب أو يستعين هؤلاء بهؤلاء فيحصل من اجتماعهم جلاء البيان النبوي وحضورِه في أساليب العرب، والله الموفّق .

المصادر والمراجع

- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (-538 هـ)، دار النفائس، بيروت، ط1: 1430هـ، 2009م.

- الإصابة في تمييز الصحابة،الحافظ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (- 852هـ)، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1: 1412هـ .

- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5: 1980م .

- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (-356هـ)، ت: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

- الإلزامات والتتبع، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (306- 385هـ)، ت: مقبل بن هادي الوادعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2: 1405هـ، 1985م.

- الأمالي في لغة العرب،أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (- 356هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، 1398هـ 1978م.

- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (-255هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت .

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (- 1205هـ)، ت: عبد الستار فراج، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1385هـ، 1965م .

- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي(- 1356هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2: 1394هـ، 1974م.

- تاريخ ابن معين برواية الدوري، يحيى بن معين أبو زكريا(- 233هـ)، ت: د. أحمد محمد نور سيف،مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1399هـ – 1979م.

- تاريخ مدينة دمشق،الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (571هـ)، ت: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1419 هـ، 1998م.

- تأويل مختلف الحديث، عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري (-276هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، 1393هـ، 1972م.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (849، 911هـ) ت: د. أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، 1419هـ، 1999م.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني(-816هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405.
- تغليق التعليق على صحيح البخاري، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني(- 852هـ)، ت: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار (بيروت - عمان) ط1: 1405هـ.
- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)،أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي (-685هـ)، دار الفكر، بيروت.
- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي(- 606هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1421هـ،2000 م.
- تقريب التهذيب، الحافظ ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (-852هـ)، ت: الشيخ محمد عوامة ـ طباعة دار الرشيد، حلب ط1: 1406هـ، 1986م .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبوعمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (- 463 هـ)، ت: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكريم البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب،1387هـ.
- تهذيب الآثار (الجزء المفقود)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري سنة الولادة (224 - 310 هـ)، تحقيق علي رضا، الناشر دار المأمون للتراث .
- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني (773- 852هـ)، عناية: إبراهيم الزيبق و عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1: 1421هـ، 2001م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (-370هـ)، ت: د. عبد الله درويش، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

- جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي(- 795)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ.

- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (327هـ)، دار إحياء التراث العربي،بيروت، الطبعة الأولى، 1271 – 1952.

- جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري(- 395هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1988م.

- جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت.

- خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين ابن حجة الحموي أبو بكر علي بن عبد الله (- 837هـ)، ت: عصام شعيتو، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1987.

- ديوان ابن الرومي أبي الحسن علي بن العباس بن جريج (- 284هـ)، ت: د. حسين نصّار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2: 1993م.

- ديوان ابن المعتز أبي العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل (- 296هـ)، شرح مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1: 1415هـ، 1995م.

- ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (-231هـ) بشرح الخطيب التبريزي، ت: محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ط2.

- ديوان الراعي النميري (-90هـ) وأخباره، بعناية ناصر الحاني وعز الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1383هـ، 1946م.

- ديوان النمر بن تولب العُكلي، ت: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1: 2000م.

- ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري(-476هـ)، ت: درية الخطيب و لطفي الصقّال، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1395هـ، 1975م.

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري (-41هـ)، ت: د. إحسان عباس، وزارة الإرشاد والإنباء، الكويت، 1962م.

- الزاهرفي معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (- 328هـ)، ت: د . حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1: 1412هـ، 1992م .

- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني (- 275هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت .

- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (- 275هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر،بيروت .

- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (-279هـ)، ت: أحمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت .

- سنن النسائي (المجتبى) الإمام النسائي أحمد بن شعيب (-303هـ)، ت: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، ط2: 1406هـ، 1986م .

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (-748 هـ)، ت: شعيب الارنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة 1413 هـ، 1993 م.

- شرح الأربعين النووية، تقي الدين محمد بن علي، المشهور بابن دقيق العيد (-702هـ) بعناية الشيخ عبد العزيز السيروان، دار الرائد العربي، بيروت ط: 1404هـ، 1984م.

- شرح صحيح مسلم المسمى المنهاج شرح الجامع الصحيح للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي (- 676هـ)، دار إحياء التراث ـ بيروت ـ ط2 ـ 1392هـ

- شرح علل الترمذي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (736- 795هـ)، ت: د. نور الدين عتر، دار الملاح، دمشق، ط1: 1398هـ، 1978م.

- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى، 1410.

- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ) ـ دار السلام / الرياض، ودار الفيحاء / دمشق ـ ط2 ـ 1419هـ، 1999م (وفق ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (261هـ) ـ ت: محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار عالم الكتب ـ الرياض ـ ط1: 1417هـ، 1996م

- الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، د. أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط2: 1427هـ، 2006م.

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي أحمد بن علي(-772هـ) (مع شروح التلخيص) السعادة، مصر 1937م.
- علم الحديث والدراسات الأدبية، د. نور الدين عتر، ط1: جامعة حلب، 1986م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي(- 463 هـ)، ت: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، الطبعة الثانية، 1374هـ، 1955م.
- غريب الحديث، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (-285هـ)، ت: د. سليمان العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1: 1405هـ .
- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي(- 224هـ)، ت: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1396هـ.
- غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (-276هـ)،ت: د . عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ .
- فتح الباري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (-852هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ .
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (- 902هـ)، اعتنى به صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ، 2001م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي(- 1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط1، 1356هـ.
- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني (- 365هـ)، ت: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط3، 1409هـ، 1988م .
- الكامل في اللغة و الأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (- 285هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة 1417 هـ، 1997 م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (-180هـ) ت: عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، ط3: 1408هـ، 1988م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(-538 هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني (- 1162هـ)، ت: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4: 1405هـ.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (- 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط1 .
- المتواري على تراجم البخاري، ناصر الدين أحمد بن المنيّر (-683هـ)، ت: صلاح الدين أحمد، مكتبة المعلّا، الكويت، ط1: 1407هـ، 1987م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي (- 637هـ)، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت: 1420هـ، 1995م.

1997م.

- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني (518هـ)، ت: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
- المجموع في المحيط بالتكليف، عبد الجبار بن أحمد المعتزلي (415هـ) جمع الحسن بن أحمد بن متوية البُحراني (469هـ)، عني به الأب جين يوسف هوبن، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (- 458هـ)، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2000م.
- محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شمائله وخصاله الحميدة، الشيخ عبد الله سراج الدين، دار الفلاح، حلب، ط7: 1410هـ، 1990م.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (- 458هـ)، ت: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1: 1417هـ، 1996م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الشيخ ملا علي بن سلطان القاري الحنفي (1014هـ)، بعناية: صدقي العطار، دار الفكر، بيروت، ط1: 1412هـ، 1992م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.

- المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (-538 هـ)، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.

- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض بن يوسف بن عياض اليحصبي(-544 هـ)،دار الفكر، ط1 ت 1418هـ، 1997م

- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت،ط1: 1979م.

- المعجم الأوسط، الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (- 360هـ)،ت: طارق محمد وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ .

- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني(-360هـ)، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط2: 1404هـ، 1983م.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص 42 .، د. أحمد مطلوب، لبنان ناشرون، بيروت،إعادة طبع 2007.

- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (- 626هـ)، ت: د. عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1420هـ، 2000م.

- المقاصد الحسنة، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (- 902هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت .

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (-324هـ)، تصحيح:هلموت ريتر، جمعية المستشرقين الألمانية ـ ط3 1400هـ، 1980 م .

- مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (395هـ)، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (- 474هـ)، مطبعة السعادة،مصر، 1331هـ.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم بن محمد القرطاجني(-684هـ)، ت: د. محمد الحبيب بن الخوجة، تونس 1966م.
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (-370هـ)، ت: أحمد صقر، دار المعارف، مصر .
- المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي(-756هـ)، ت: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، - نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(-733هـ)، ت: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1424 هـ - 2004 م .
- يتيمة الدهر، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (- 429هـ)، مطبعة الصاوي، مصر، ط1: 1353هـ، 1934م.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2010/1/24.